الأبعاد الجيوبولتيكية للحرب الروسية الاوكرانية وتداعياتها السياسية العالمية

د. البشير علي المبروك الحميدي (*)

كلية الآداب والتربية جامعة صبراتة

الملخص

تناولت هذه الدراسة تحليل الأبعاد الجيوبولتيكية للحرب الروسية الأوكرانية وتداعياتها المختلفة، وهدفت لإبراز تأثيرات العوامل الجغرافية في توجيه وتحريك سياسات واستراتيجيات القوى الكبرى بما في ذلك لجوء هذه القوى إلى الخيار العسكري لتحقيق أهدافها السياسية ومصالحها العليا، ومن خلال هذه الدراسة ثبت صحة تأثير العوامل الجغرافية بأبعادها الاستراتيجية في تفسير التحرك العسكري الروسي ضد أوكرانيا وشن الحرب عليها، وكذلك تفسير

(*) Email: hmedibashir@gmail.com

أسباب اصطفاف القوى الغربية بقيادة الولايات المتحدة ضد هذا الغزو ودعمهم لأوكرانيا، ومن أهم العوامل التي تفسر صدام روسيا مع أوكرانيا ومع القوى الغربية خسارتها لجزء من أراضيها بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، حيث انضمت بعض الدول المستقلة إلى حلف الناتو وهذا أثار حفيظة روسيا وجعلها تخطط استراتيجيا لبناء ترسانتها العسكرية لتكون قادرة على القيام بمثل هذا العمل العسكري، وتوحيد تحالفاتها مع القوى العالمية الأخرى لتفكيك أحادية القطب الواحد بزعامة الولايات المتحدة الامريكية، إضافة إلى كبر مساحة روسيا وعدم تناسبها مع واجهتها البحرية التي تعد في معظمها متجمدة وغير صالحة للملاحة، ما أدى إلى بحث روسيا الدائم عن المنافذ البحرية الدافئة، إلى جانب أهمية موقع أوكرانيا الجغرافي الاستراتيجي الحاكم بالنسبة للقوى البرية والبحرية، وكبر حجم سكانها واتساع مساحة أراضيها وغناها بالموارد الطبيعية والبشرية، وهذا يعني أن السيطرة على هذه الدولة والظفر بها سيغير موازين القوى وسيقلبها رأس على عقب ، يمكن القول باختصار إن هذه الدراسة اكدت المقولة الشهيرة التي تقول إن الحرب هي مرحلة مهمة من مراحل السياسة ومن الجغرافيا.

الكلمات المفتاحية

الجيوبولتيك – الجيوستراتيجيا – الحرب الروسية الأوكرانية – القوى البرية – القوى البحرية

المقدمة

يعد يوم 24 فبراير عام 2022م يوما مفصليا في تاريخ العلاقات الروسية الأوكرانية والروسية الأوروبية والعلاقات الدولية بصفة عامة، فهذا اليوم شهد اطلاق روسيا لعمليتها العسكرية ضد اوكرانيا حيث بدأت طلائع قواتها بالتوغل وغزو الأراضي الأوكرانية، ولقد اختلفت آراء السياسيين والعسكريين حول مغزى التدخل العسكري الروسي وأهدافه، حيث راه البعض أنه

محاولة من روسيا لاستعادة مجدها السابق بإعطاء دفعة جيوبولتيكية قوية للدب الروسي للنهوض من سباته لإعادة إمبراطوريته (الاتحاد السوفييتي)، ويراه البعض الاخر بأنه هجوم استباقي روسي هدفه حماية مصالحها القومية ومنع القوى الغربية وحلف الناتو من الاقتراب من حدودها الغربية، ولقد اتفق الجميع على إن هذه الحرب فرصة نادرة للقوى الغربية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية للإيقاع بالدب الروسي في مستنقعات ووحول أوكرانيا وإن الخاسر الوحيد من هذا الصراع هي قارة أوروبا (الاتحاد الأوروبي)، فعندما تتصارع الدببة في أرض معينة فالضرر حتما سيلحق بهذه الأرض وتبقي قوى كبرى أخرى على غرار الولايات المتحدة الامريكية والصين هي الرابح الأكبر من هذا الصراع، فقارة أوروبا التي تحسنت عافيتها ونشاطها بفعل تدفق الغاز الروسي في أوصالها يبدو أنها تعيد النظر في علاقتها ومصالحها مع روسيا بعدما أعاد لها هذا التاريخ وللعالم ذاكرة الحرب الباردة، ولقد حمل هذا اليوم بين طياته تطورا جيوبولتيكا خطيرا، فمنذ نهاية الحرب الباردة لم يتحسس الأوروبيون أصوات اقدام الجنود الروس ودبابتهم تتوغل دفعة واحدة الى عمق القارة العجوز، وذلك إيذانا ببداية عصر جديد ربما يحمل معه نهاية النظام العالمي الامريكي أحادي القطبية وبداية نظام عالمي متعدد الأقطاب، ونظرا لاهتمامات الباحث بمشكلات الجغرافيا السياسية ومجالاتها المختلفة، وحرصا على الالمام بكل جوانب المشكلة الروسية الأوكرانية ومعرفة أسبابها وأبعادها المختلفة وسبر أغوارها ورصد نتائجها وتأثيراتها المختلفة، فإن هذه الدراسة تبحث في دور الأبعاد الجيوبولتيكية في الحرب الروسية الأوكرانية وذلك من خلال أربعة مباحث تناول المبحث الأول التعريف بعلم الجيوبولتيك وأهم النظريات الجيوبولتيكية والجيوستراتيجية وشرح المبحث الثاني الأهمية الجيوبولتيكية لروسيا كقوة عالمية وخصوصية علاقاتها التاريخية باوكرانيا وأوروبا والولايات المتحدة الامريكية، وحلل المبحث الثالث في مطلبين موقع وأهمية أوكرانيا الجيوبولتيكية بالنسبة للقوى الكبرى روسيا والولايات المتحدة الامريكية وكذلك موقع أوكرانيا من النظريات الجيوبولتيكية، وأخيراً أهتم المبحث الرابع

برصد التداعيات والآثار السياسية والاقتصادية الأمنية العالمية المترتبة على الحرب الروسية الأوكرانية.

مشكلة الدراسة

يمكن صياغة مشكلة الدراسة على النحو الآتي

1- ما هو سبب التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا؟

2- لماذا ردة الفعل السياسية الغربية الشديدة والغاضبة تجاه التدخل الروسي في أوكرانيا والتي اقترنت بدعم أوكرانيا عسكريا؟

3- هل خطورة المشكلة الحالية بالنسبة للقوى الغربية تكمن في التدخل العسكري الروسي في حد ذاته أم في الحساسية الجيوبولتيكية لمكان التدخل؟

4- ما هو وزن أوكرانيا الجيوبولتيكي؟ وما هي أهميتها من الناحيتين الجيوستراتيجية والاقتصادية؟

فرضية الدراسة

تفترض الدراسة ما يأتي:

1- يعد العامل الجيوستراتيجي بأبعاده ومشتملاته المختلفة أحد أهم العوامل التي دفعت روسيا لغزو أوكرانيا.

2- التحرر من قيود الموقع الجغرافي البري وتوسيع النطاق البحري والوصول إلى المياه الدافئة أهم أهداف روسيا في حربها ضد أوكرانيا.

3- تسعى القوى الغربية من خلال رفضها لغزو أوكرانيا إلى منع روسيا من تحقيق أهدافها الجيوستراتيجية وبالتالي استمرار توسيع نطاق تطويقها ومنعها من الاتحاد أو الوصول لدول النطاق الهامشي.

أهمية الدراسة ومبرراتها وأهدافها

تكمن أهمية الدراسة في معرفة تأثير ودور العامل الجيوبولتيكي في اندلاع الحرب الروسية الاوكرانية واستمرار اشتعالها مع ما يترتب على ذلك من آثار وتداعيات خطيرة تمس الأمن الدولي بكل أبعاده العسكرية والسياسية والاقتصادية، ويزيد من أهمية الدراسة تزامنها مع الأحداث الجارية والمتسارعة للحرب الروسية الأوكرانية ما يجعل هذا الموضوع حديث الساعة والشغل الشاغل للعالم بأسره، وتحاول الدراسة تحقيق الأهداف الآتية:

1- التعريف بعلم الجيوبولتيك وتحديد أهمية وقيمة النظريات الجيوبولتيكية والجيوستراتيجية القديمة والحديثة.

2- توضيح الأهمية والمكانة الجيوبولتيكية والتاريخية لروسيا كقوة عالمية تحاول النهوض بقوتها وإعادة مكانتها الجيوبولتيكية السابقة.

3- رصد وتحليل دور وتأثير الأبعاد الجيوبولتيكية وتأثيرها على سياسة التنافس والصراع بين القوى الكبرى لاسيما بين روسيا القوة البرية وبين الولايات المتحدة القوة البحرية.

4- تحديد الأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية لدولة اوكرانيا باعتبارها تشكل جزءا مهما من قلب العالم إضافة الى كونها محوراً جيوسياسياً مهما في قارة أوراسيا.

5- متابعة ورصد وتحليل الآثار والتداعيات المختلفة المترتبة على الغزو الروسي لأوكرانيا.

منهج الدراسة

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الإقليمي والمنهج التاريخي ومنهج تحليل القوة.

مفاهيم ومصطلحات الدراسة:

1. **الاستراتيجية** Strategy المصطلح مشتق من الاغريقية القديمة Strato وتعني حشد أو جيش ومن تلك الكلمة اشتقت اليونانية القديم مصطلح Strategeo وتعني فن ادارة وقيادة الحروب لتحقيق أهداف السياسة ولقد سيطر المعنى العسكري على لفظ استراتيجية لفترة طويلة من الزمن، وفي الوقت الحالي تطور المعنى ليصبح أكثر اتساعا وشمولا حيث تعرف الاستراتيجية بأنها مجموعة الخطط والسياسات التي تضعها الدول أو المؤسسات أو المنظمات لتحقيق أهداف معينة عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو تنظيمية ادارية في مدى زمني معين، وتعرفها موسوعة العلوم السياسية بأنها علم وفن استخدام الوسائل والقدرات المتاحة في اطار عملية متكاملة يتم اعدادها والتخطيط لها بهدف خلق هامش من حرية العمل يعين صناع القرار على تحقيق أهداف سياستهم العليا في أوقات السلم والحرب[1].
2. **الجيوستراتيجيا** Geostrategy وفق التعريف الشامل للاستراتيجية فإن مصطلح الجيوستراتيجيا يعني الاستراتيجيات أو الخطط المبنية على حقائق الجغرافيا وتعرف بأنها مجموع الخطط السياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية التي تضعها الدولة واجهزتها التنفيذية لتحقيق اهداف سياسية معينة وفق الأسس والامكانيات والاعتبارات الجغرافية المتاحة، ولقد عرف "زبيغو برجينسكي" علم الجيوستراتيجيا بأنه علم الادارة الاستراتيجية للمصالح الجيوسياسية[2].
3. **الحرب** The War **هي** قتال ينشب في العادة بين الدول أو داخل دولة أو إقليم معين وتقع الحرب بمعناها القانوني في حال اعلان دولتين أو أكثر قيام العمليات الحربية بينهما بشكل رسمي وبالتالي فإن الحرب غير المعلن عنها لا تستوفي الشرط القانوني المعلن عنه في

اتفاقية لاهاي لعام 1899، 1907م ولكن الحرب الفعلية تقع فعليا عندما تلجأ جماعة منظمة إلى استخدام القوة ضد جماعة أخرى [3].

4. **الحرب الباردة** Cold War مصطلح يستخدم لوصف حالة الصراع والتوتر والتنافس التي كانت سائدة بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي وحلفائهم من فترة منتصف الاربعينات حتى أوائل التسعينات وتعد التحالفات العسكرية والدعاية وتطوير الأسلحة والتنافس التكنولوجي والتسابق الفضائي أهم أدوات وأساليب الحرب الباردة التي كانت سائدة في تلك الفترة.[4]
5. **القوى البحرية** Sea Powers هي الدول الكبرى التي يغلب علي موقعها الصفة البحرية حتى وإن كانت لها حدود برية، وهذه الدول غير منشغلة سياسيا أو عسكريا بالبر إي بالقضايا الحدودية البرية وذلك لكونها إما مطوقة بالكامل بالبحار والمحيطات حيث توفر لها هذه البحار الحماية العسكرية والاستراتيجية، أو لكون البحار تشكل نسبة كبيرة من حدودها، أو لكونها تتشارك في حدودها السياسية البرية مع دول قليلة العدد أو ضعيفة من ناحية القوة، وللقوى البحرية بحكم مميزات موقعها البحري الاستراتيجي توجهات بحرية واضحة حيث تميل إلى تعزيز قوتها البحرية وقد تبني لذلك أساطيل بحرية تجارية أو عسكرية خاصة بها، ومن أمثلة القوى البحرية بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية.[5]
6. **القوى البرية Land Powers** هي الدول الكبرى التي يغلب على موقعها الصفة البرية أو القارية حتى وإن كانت لها سواحل بحرية، وهذه الدول بحكم موقعها تكون منشغلة سياسيا وعسكريا بالقضايا البرية الحدودية مع الدول المجاورة، والقوى البرية عادة ما تعطي الأولوية لبناء وتقوية الجيوش البرية الضخمة، كما أنها تشعر دائما بالخوف من التطويق والهجوم البري من القوى المعادية، وذلك بحكم عيوب موقعها القاري لذا تحاول تأمين نفسها عسكريا

واقتصاديا بالوصول إلى المحيطات والمنافذ البحرية، ومن أمثلة القوى البرية روسيا والمانيا.[6]

7. **حلف الناتو NATO** كلمة الناتو تمثل الحروف الأولى من الكلمات الإنجليزية North Atlantic Treaty Organization وتعني معاهدة حلف شمال الاطلسي والناتو حلف سياسي عسكري غربي تتزعمه الولايات المتحدة الامريكية أنشي بموجب معاهدة عرفت باسمه في عام 1949م بمدينة واشنطن ويتكون من الولايات المتحدة الامريكية – بريطانيا – فرنسا – كندا – إيطاليا – بلجيكا هولندا – البرتغال – لكسمبورغ – ايسلندا – النرويج – الدنمارك – المانيا – تركيا – اليونان برز للوجود على أثر اشتداد الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي البري والغربي البحري، وتحول الحلف عام 1952م إلى منظمة دولية إقليمية وللحلف مجلس وجهاز عسكري وأمانة عامة.[7]
8. **سياسة الاحتواء الاستراتيجي Policy of Containment** هي سياسة خارجية مضادة للقوى البرية "الهارتلاند" تعود فكرتها الأولى إلى عالم الجيوبولتيك الأمريكي "نيقولا سبيكمان"، الذي يعد مؤسسها الحقيقي، ويرجع الفضل في صياغتها وإماطة اللثام عنها إلى الباحث الأمريكي "جورج كينان" وذلك عندما وردت مفصلة في مقال له بعنوان (مصادر السلوك السوفيتي) في عام 1947م، ودعت هذه السياسة إلى مجابهة الاتحاد السوفيتي السابق بطريقة غير مباشرة وذلك باستخدام الأساليب والضغوط الدبلوماسية والاقتصادية والسياسية والعمل على استنزاف قدراته بحروب جانبية، وتطويقه بإنشاء سلسلة من الأحلاف لتضييق الخناق عليه ولمنع توسعه وللحيلولة دون انتشار نفوذه وايديولوجيته في العالم.[8]
9. **الدبلوماسية Diplomacy** تعد من أهم أدوات السياسة الخارجية للدول والكيانات السياسية وهي في أوسع معانيها تعني مجموعة من المفاهيم والقواعد والإجراءات والمراسم والمؤسسات والأعراف الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية والمثلين الدبلوماسيين

بهدف حماية المصالح العليا الأمنية والسياسية والاقتصادية والتوفيق بين مصالح الدول بواسطة الاتصال والتبادل واجراء المفاوضات السياسية وعقد الاتفاقيات والمعاهدات،[9] وهناك من يختصر ذلك التعريف في صيغة أخرى تقول إن الدبلوماسية هي علم وفن رعاية العلاقات الدولية بواسطة المفاوضات التي يقوم بها السفراء والممثلون الدبلوماسيون، ويشير مصطلح الدبلوماسية باختصار إلى عدم لجوء أطراف النزاع إلى القوة العسكرية والتركيز بدل ذلك على الوسائل السلمية واهمها المفاوضات الدبلوماسية.[10]

10. **المفاوضات Negotiation** هي أسلوب دبلوماسي لفض المنازعات سلميا ووسيلة يمكن بواسطتها تحقيق المصالح القومية للأطراف المتنازعة، ويتم في العادة عن طريق قبول حل وسط Compromise تتوصل اليه الأطراف المعنية عن طريق الاتصال الشخصي المباشر، والمفاوضات بين الوفود نوعان تفاوض مباشر بمعنى وجه لوجه أو غير مباشر عن طريق وسيط ترضى به الأطراف المتنازعة.[11]

أولاً : النظريات الجيوستراتيجية وأبعادها الجيوبولتيكية العالمية:

الجيوبولتيكس Geopolitics علم سياسات الأرض وهو علم تحليلي تطبيقي يهتم بدراسة مطالب الدول السياسية الحالية والمستقبلية على ضوء حقائق الجغرافيا، ويركز هذا العلم بالخصوص على دراسة مدى تأثير الابعاد الجغرافية (الموقع الجغرافي بكل أبعاده ومشتملاته – المساحة – السكان– الموارد الطبيعية والبشرية) على سياسة الدولة الخارجية وصنع القرار بها، بهدف وصولها إلى القوة وتحقيق مصالحها القومية العليا، وثمة علاقة بين قوة الدولة ووضعها الجغرافي،[12] فالعامل الجغرافي يسهم اسهاما قويا في بناء الدولة وزيادة أسباب ومصادر قوتها مما ينعكس على طريقة تفكيرها وتخطيطها الاستراتيجي فضلا عن أدائها وسلوكها الداخلي والخارجي وللعوامل الجغرافية تأثير مهم على بناء الحياة السياسية والاجتماعية للدولة، وتلعب

هذه العوامل دورا مهما في صياغة خططها الأمنية والاستراتيجية، ولقد وصف الباحث الجيوبولتيكي الأمريكي "**سبيكمان**" الجيوبولتيك بأنه الأداة الأكثر أهمية في السياسة الدولية، وعرفه بأنه التخطيط لسياسة أمن الدولة في حدود عواملها الجغرافية، ويختصر كارل هاوسهوفر الفرق بين الجغرافيا السياسية وبين الجيوبولتيكس بقوله " الجغرافيا السياسية تبحث في الدولة من وجهة نظر المجال (الحيز المكاني الذي تقوم عليه الدولة) أما الجيوبولتيكس فتبحث في المجال من وجهة نظر الدولة.[13]

تهتم النظريات الجيوبولتيكية بتوضيح قيمة الأرض أو المكان من الناحية السياسية ودراسة الأوضاع العامة للأماكن الجغرافية واعطائها أهميتها السياسية بالنسبة للنفوذ والسيطرة الإقليمية والعالمية، كما أنها يمكن أن تتنبأ بسياسات واستراتيجيات الدول على ضوء حقائق الجغرافيا، ونظرا لأن العامل الجغرافي هو أحد العوامل المؤثرة في سياسات الدول، فإنه يمكن الاستفادة من النظريات الجيوبولتيكية لبناء الخطط والاستراتيجيات السياسية والاقتصادية والعسكرية للدول المختلفة، ويقال أن السياسيين الذين عارضوا الفكر الجيوبولتيكي ولم يهتموا به أو لم يفهموا استخدامه أو توظيفه بالشكل الصحيح انحدرت دولهم وضعفت وسقطت في نهاية المطاف، كما حصل مع المانيا النازية والاتحاد السوفييتي السابق، وذلك بعكس الدول الرائدة والمهتمة بمجال الفكر الجيوبولتيكي كالولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا[14]ونستعرض فيما يأتي أهم النظريات الجيوبولتيكية لبيان أهميتها وتأثيرها على الاستراتيجيات السياسية و العسكرية للدول الكبرى.

1- نظرية الفرد ماهان A.Mahan (1840-1914م)

برزت الخطوط العريضة لنظرية الباحث الأمريكي "الفرد ماهان" في كتابه المعنون (القوى البحرية في التاريخ " 1660-1783م") الذي نشره عام 1890م ويعد هذ الكتاب أهم كتب الاستراتيجية العسكرية والمرجع الأول للفكر الجيوبولتيكي العالمي، ويعد ماهان رائد ومؤسس

مدرسة القوة البحرية في الجيوبولتيك، وقد ساهم مساهمة كبيرة في النهوض البحري المبكر للدولة الامريكية فكان المحرض الفعلي على بناء الاسطول البحري الأمريكي وعمل على ترسيخ الاستراتيجية العسكرية البحرية الامريكية،[15] رأى ماهان إن الخطر الأكبر على الحضارة البحرية يتمثل في دول الاوراسيا القارية روسيا والصين بالدرجة الأولى وألمانيا بالدرجة الثانية، شدد ماهان على ضرورة حصار القوى البرية الاوراسية المعادية من البحر، وعبر الخطوط الساحلية من أجل استنزافها واحتواءها استراتيجيا، وفي هذه الحالة تصبح المهمة الاستراتيجية الأولى للقوى البحرية هي اغلاق المنافذ البحرية امام القوى القارية البرية، والحيلولة دون بناء العدو (روسيا والصين وألمانيا) لقوتهم البحرية، وهكذا اسهم ماهان مساهمة كبيرة في تطوير وانشاء مدرسة القوة البحرية في الجيوبولتيك، ولقد قالت صحيفة التايمز اللندنية في امتداحها لماهان عام 1895م بأنه فعل للتاريخ البحري ما فعله "كوبرنيكوس" لعلم الفلك،[16] ويمكن تلخيص نظرية ماهان بالقول (إن من يسيطر على بحار ومحيطات العالم يتحكم في قارات العالم ومن يتحكم في قارات العالم يسيطر على العالم كله).

2- نظرية هالفورد ماكندر H.Machinder (1861- 1947م)

تخصص الباحث البريطاني "هالفورد ماكندر" في الجغرافيا وبعد تخرجه عام 1887م أصبح يعمل مدرسا في جامعة أكسفورد، وبعد ذلك عين مديرا للمدرسة الاقتصادية في لندن، وفي الفترة ما بين 1910-1922م انتخب عضوا في مجلس العموم البريطاني ليتولى قيادة الوفد البريطاني إلى روسيا ما بين عامي 1919- 1920م، اشتهر ماكندر بمقامه الرفيع في عالم السياسة البريطانية وترك تأثيره العميق على توجهات بريطانيا واستراتيجياتها الدولية، رأى ماكندر ان الوضع الجيوبولتيكي الأفضل لكل دولة هو الوضع المتوسط المركزي وأشار إلى ان قلب العالم الذي يقع في وسط اوراسيا هو رأس الجسر الجغرافي الأكثر ملائمة للسيادة على العالم بأسره،[17] في عام 1904م نشر ماكندر مقاله الأول في المجلة الجغرافية تحت عنوان المحور

الجغرافي للتاريخ لذلك سميت نظريته بالمحور الجغرافي للتاريخ واشتهرت بنظرية قلب العالم Heart Land وهذه النظرية أعطت أهمية كبيرة للمناطق البرية من العالم وخصوصا جزيرة العالم التي تتكون من قارتي أوراسيا وافريقيا، ورأى إن هذه الجزيرة مهمة جدا من الناحية الجيوبولتيكية وذلك بحكم وجود قلب العالم داخلها، ورأى إن من يتحكم في هذا القلب يستطيع أن يسيطر على هذه الجزيرة ومن ثم يسيطر على العالم، وقلب العالم هو منطقة قارية محصنة استراتيجيا عن هجوم القوى البحرية تقع في وسط أوراسيا وتبلغ مساحتها نحو 21 مليون كم2، وتمتد من المحيط المتجمد شمالا إلى ايران جنوبا ومن سيبيريا شرقا إلى شرق اوروبا غرباً، وهذا القلب محصن ومحمي طبيعيا بالعمق الاستراتيجي من هجوم القوات البرية والقوات البحرية، ويلخص ماكندر نظريته بالقول (إن من يتحكم في شرق أوروبا باعتبارها بوابة قلب العالم يتحكم في قلب جزيرة العالم ومن يتحكم في قلب جزيرة العالم يتحكم في العالم كله)[18]

3- نظرية نيقولاس سبيكمان N. Spykman (1893- 1943م)

يعد العالم الجيوبولتيكي الأمريكي الهولندي الأصل "نيقولاس سبيكمان" من اتباع مدرسة الفرد ماهان (القوة البحرية) يوصف سبيكمان بأنه الأب الروحي للأطلسية والملهم الفكري لحلف الناتو، يرى سبيكمان ان ماكندر بالغ كثيرا في الأهمية الجيوبولتيكية للهارتلاند فهو ليس الا مدى مكاني يتلقى جميع نبضاته الحضارية من المناطق الشاطئية ولا يحمل في طياته أي رسائل جيوبولتيكية مستقلة وأن المناطق الشاطئية أو مناطق الاطار هي مفتاح السيطرة العالمية وليس الهارتلاند، ومن هذا المنطلق تعرف نظرية سبيكمان بنظرية الرملاند Rim Land أو نظرية الإطار، والرملاند هي المناطق الاوراسية المحيطة بقلب العالم مثل الدول الأوروبية والجزيرة العربية والعراق تركيا وايران وافغانستان والهند والصين والهند الصينية وشرق سيبيريا، وهذه المناطق تتمتع بمميزات القوة البرية والبحرية في نفس الوقت، وهي تضم أكثر من نصف سكان العالم وتتركز بها معظم ثروات وموارد العالم كالنفط والغاز وغيرها، وهي مناطق التحام

وتصادم بين قوى البر وقوى البحر في زمن الحرب وهي ذاتها مناطق عازلة بين القوتين في زمن السلم، وأكد إن الهدف الأساسي الذي يجب أن تحققه الولايات المتحدة وحلفائها هو منع القوى البرية من السيطرة على هذه المناطق والحيلولة دون حدوث إي اتحاد بين مراكز القوى في العالم القديم وخصوصا في مناطق الرملاند موجه ضدها، وملخص نظرية سبيكمان يقول " إن من يسيطر على النطاق الهامشي (الرملاند) يتحكم في قلب العالم ومن يتحكم في قلب العالم يكون بيده مصير العالم "[19]

4- نظرية زيغو برجينسكي Z.Przezinski (1928- 2017م)

"برجينسكي" مفكر ومخطط جيوبولتيكي أمريكي معاصر حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة هارفرد عام 1953م وعمل أستاذا لمادة السياسة الخارجية الامريكية في كلية بول نيتز للدراسات الدولية المتقدمة بجامعة جون هوبكنز في واشنطن، وشغل منصب مستشار الأمن القومي الأمريكي في عهد الرئيس الأمريكي جيمي كارتر للفترة ما بين (1977- 1988م) تعد نظريته المسماة برقعة الشطرنج واحدة من أهم وأحدث النظريات الجيوبولتيكية التي تمت صياغتها بعد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق وانتهاء فترة الحرب الباردة حيث ظهرت هذه النظرية عام 1997م، وفي هذه النظرية شبه برجنسكي قارة اوراسيا برقعة شطرنج كبرى يدور حولها صراع القوى العظمى من اجل بسط السيطرة والنفوذ على العالم فهي مفتاح السيطرة العالمية واورسيا مهمة للسيطرة العالمية للعديد من الأسباب وأهمها كبر مساحة أوراسيا وضخامة حجم سكانها وغزارة مواردها وكثرت عدد دولها، فالقارة يعيش فيها نحو 75% من سكان العالم، وتنتج 70% من الناتج المحلي الإجمالي العالمي و75% من موارد الطاقة العالمية، وتستحوذ على 80% من قيمة التجارة العالمية، كما أن كل القوى المحتملة لتحدي التفوق الأمريكي تقع في اوراسيا[20] أذن فمن يسيطر على هذه القارة يكون بيده مصير العالم.

ثانيا: جيوستراتيجية روسيا كقوة عالمية وخصوصية علاقاتها التاريخية مع أوروبا واوكرانيا والولايات المتحدة الامريكية

تعد روسيا من أكبر دول العالم مساحة حيث تصل مساحتها إلى نحو 17 مليون كم2 ويقطن هذه المساحة نحو 150مليون نسمة حسب إحصاء عام 2018 م، وتحتوي الأراضي الروسية الواسعة على موارد طبيعية كثيرة ومتنوعة وحيوية للاقتصاد المحلي والعالمي، حيث تمثل موارد روسيا الطبيعية نحو 20% من موارد العالم، وتحتل روسيا مرتبة عالمية متقدمة في انتاج وتصدير العديد من المنتجات الزراعية مثل القمح والشعير والذرة والزيوت النباتية، وتتميز أراضيها بوجود العديد من الموارد الطبيعية الخام والمعادن الاستراتيجية المهمة جدا للاقتصاد العالمي مثل الذهب والنيكل والحديد والنفط والغاز واليورانيوم.[21]

لعب الموقع الجغرافي(الواجهة البحرية البرية) ولايزال دورا كبيرا في التأثير على السياسة الخارجية الروسية حيث فرض الموقع الداخلي (البعد عن المياه الدافئة) على روسيا منذ نشأتها قيودا شديدة على الدولة من حيث مرونة حركتها وحرية وديمومة تجارتها الدولية، وكان موقعها القاري وتجمد مياهها على المحيط المتجمد الشمالي طيلة أيام السنة بمثابة كابوس مخيف للساسة الروس وللدولة الروسية التي شعرت دائما بأنها دولة شبه حبيسة ومطوقة من قبل اعدائها ومقيدة سياسيا واقتصاديا بمياهها المتجمدة رغم كبر مساحتها وطول سواحلها، خريطة رقم (1) ومنذ البدايات الأولى لنشأة الدولة الروسية وحتى الوقت الحاضر جرت محاولات عدة من قبل القادة الروس للهروب من قيود الموقع شبه الحبيس لدولتهم، وذلك من خلال ضم الأراضي المحيطة والتوسع التدريجي نحو البحار الدافئة، ورغم ان الدولة الروسية حققت ومن خلال هذا التوسع بعض أهدافها التوسعية، الا ان اصطدامها التاريخي بحكم موقعها الجغرافي بالوجود البري لإمبراطورية النمسا المجر من جهة، والوجود البحري الياباني والصيني في المحيط الهادي والنفوذ السويدي والبريطاني والألماني والتركي العثماني في البحار الدافئة لقارة أوروبا والمحيط

الهندي أدى إلى منع روسيا من تحقيق هدفها النهائي للسيطرة على هذه البحار، لذا بقت سواحل روسيا الدافئة طوال القرون الماضية جامدة لا تتحرك الا ببطء شديد، وضئيلة مقارنة بمساحتها الضخمة، وهكذا لم تكن سواحل روسيا الدافئة كافية لجعلها قوة عظمى مسيطرة تتمتع بمميزات القوة البرية والبحرية في نفس الوقت، ومع ذلك فقد أتاح التوسع التاريخي المبكر لروسيا اكتساب العديد من المميزات والمقومات الطبيعية والبشرية التي زادت من ثقل روسيا السياسي اقليميا وعالميا، ومنذ القرن الثامن عشر ونتيجة لضمها مساحات واسعة من قلب الأراضي الاسيوية والأوروبية تمتعت روسيا بكل مقومات التي جعلت منها اقوى قوة برية في العصر الحديث.[22]

خريطة رقم (1) الموقع الجغرافي لدولة روسيا الاتحادية

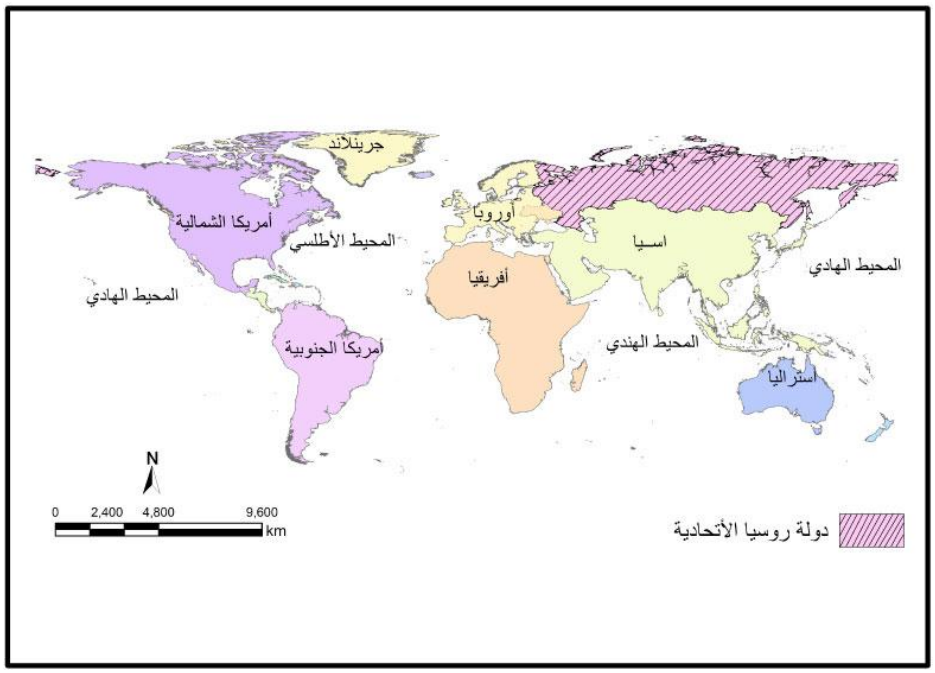

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على مازن مغايري، موسوعة أطلس العالم، دار الرضوان للنشر، حلب، بدون تاريخ، ص30-31

اثار النمو القوي والمتصاعد للدولة الروسية وخصوصا في عهد القيصرين بطرس الأكبر (1682–1725م) وكاترينا الرهيبة (1762–1796م) قلقا شديدا للدول الأوروبية لاسيما بعد تدشين الاسطول البحري الروسي في بحر البلطيق وكذلك انتصار روسيا العسكري على السويد في موقعة بولتافا عام 1709م ولقد زاد من قلق الاوروبيين وصول حدود روسيا الغربية إلى نهر الدنيبر في أوكرانيا، ولقد رات القوى الأوروبية ان التوسع الروسي باتجاه قلب أوروبا والمياه الدافئة سيحدث تفوقا روسيا وبالتالي خللا في ميزان القوى الأوروبية، ومنذ القرن الثامن عشر وتحت ضغط التوسع الروسي حاولت القوى الأوروبية الكبرى على غرار الإمبراطورية النمساوية المجرية وألمانيا وبريطانيا وفرنسا محاصرة واضعاف روسيا ومنعها من تحقيق حلمها بالوصول إلى المياه الدافئة،[23] وكان تأسيس الاتحاد السوفيتي عام 1922م بمثابة صفعة كبرى للقوى الغربية باعتباره امبراطورية أوراسية واسعة يمكن أن تشكل تهديدا استراتيجيا خطيرا للكيانات الأوروبية المبعثرة والصغيرة المساحة، وباختصار وبدون الدخول في التفاصيل التاريخية الدقيقة للعلاقات الأوروبية الروسية والروسية الغربية، استمرت الأوضاع بين روسيا (الاتحاد السوفيتي) والقوى الأوروبية والغربية بين شد وجذب فمن جهة تحاول روسيا الهروب من واقعها الجيوستراتيجي والجيوبولتيكي شبه الحبيس والمقيد وذلك بالتوسع والزحف عبر السهل الاوروبي نحو المياه الدافئة، ومن جهة أخرى تعمل القوى الأوروبية والغربية المؤثرة في القارة بكل جهدها لمنع ذلك التوسع وصده، ولقد استمر الوضع الجيوبولتيكي على هذا الحال حتى قيام الحرب العالمية الثانية عام 1939م، وحين انتهاء هذه الحرب عام 1945م بانتصار الحلفاء وروسيا (الاتحاد السوفيتي) وهزيمة المانيا، وجدت اوروبا نفسها واقعة تحت نفوذ قوتين عالميتين عظميين وهما الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية حيث تقاسما النفوذ على هذه القارة المجهدة والمثقلة بأعباء الحرب، ولقد ورثت الولايات المتحدة الامريكية بريطانيا العظمى كأقوى قوة بحرية في التاريخ، بينما رسخ الاتحاد السوفياتي نفسه كأقوى امبراطورية برية في التاريخ، ولأنها تحمل

لواء أكبر قوة بحرية عالمية فقد استمرت أمريكا وحلفاءها في تطبيق سياسة الاحتواء والتطويق الاستراتيجي للاتحاد السوفيتي لمنعه من التمدد خارج مناطق نفوذه ومحاصرته داخل نطاقه الجغرافي واستنزافه، وبالفعل تم تطويق الاتحاد السوفيتي بمجموعة من الاحلاف العسكرية على غرار حلف الناتو وحلف الساتو وحلف بغداد، وكذلك توريطه في أفغانستان، وذلك استمرارا لنفس سياسات القوى الغربية السابقة والتي هدفت إلى منع روسيا القوى البرية العالمية من الوصول إلى المياه الدافئة، ونتيجة لهذه السياسة لم يستطع الاتحاد السوفيتي الصمود كثيرا امام محاولات القوى الغربية للإطاحة به، وفي عام 1991م اعلن عن تفكك الاتحاد السوفيتي. [24]

راكمت روسيا مع نهاية العقد الأول من القرن العشرين موارد مالية ضخمة نتيجة ارتفاع أسعار النفط وموارد الطاقة، ولقد شجعت هذه الموارد الرئيس فلادمير بوتين (الرئيس الحالي لروسيا) وهو من اشد المتحمسين لعودة الإمبراطورية السوفيتية على تبني الدعوات الداعية للنهوض بروسيا مجددا وإعادة امجاد الاتحاد السوفيتي السابق ولقد عمل بوتين الذي انتخب رئيسا لروسيا عام 1999م على إعادة بناء جيش روسيا وتزويده بأحدث الأسلحة، ومن جهة أخرى سعت روسيا إلى بناء تحالفات وتكتلات سياسية واقتصادية أوراسية موالية لها ومناهضة للغرب، وسعت جاهدة إلى ابقاء الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي تحت مظلتها ونفوذها، وحاولت وبكل الطرق منع حلف الناتو من الاقتراب من حدودها ومن الدول المجاورة لها، وكانت نظرة روسيا لدولة اوكرانيا مختلفة تماما عن نظرتها لباقي الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق فهذه الدولة المحورية والتي تعد من أكبر الدول الاوروبية مساحةً بها موارد ضخمة، وتتمتع بحاضنة اجتماعية دينية موالية لروسيا يتحدثون اللغة الروسية وديانتهم مسيحية ارذوثكسية، كما يتمركز على شواطئها أسطول البحر الأسود الروسي وهي مفتاح السيطرة على المياه الدافئة وعلى قارة أوروبا، لذا يجب ان تكون أوكرانيا من وجهة نظر موسكو موالية لها وغير خاضعة لنفوذ الغرب وهيمنته،[25] ولقد رأت موسكو إنه مع مرور الوقت قد تصبح أوكرانيا

وقواها الحاكمة أكثر ميلا إلى أوروبا والقوى الغربية وحلف الناتو، ولقد تأكد هذا الاحتمال عندما دبرت القوى الغربية أحداث عام 2014م في أوكرانيا، والتي تم على اثرها اقصاء الموالين لروسيا من الحكم وتسليم السلطة للقوى القومية الأوكرانية الموالية للغرب، ومنذ ذلك الوقت شعرت روسيا بأن مصالحها في أوكرانيا في خطر داهم، وكنوع من العقاب لأوكرانيا ضمت روسيا شبه جزيرة القرم اليها عام 2014م ومع بداية عام 2022م اشتد احتقان و تأزم العلاقات الروسية الأوكرانية حيث طالبت روسيا من الولايات المتحدة وحلف الناتو بضمانات أمنية تلزم حلف الناتو بالابتعاد عن الحدود الروسية وتضمن عدم انضمام أوكرانيا للحلف، وبعد مفاوضات لم تستمر طويلا لم تستجب الولايات المتحدة والقوى الغربية لمطالب روسيا الأمنية، ونتيجة لفشل روسيا في الحصول على هذه الضمانات والتي تضمن جعل أوكرانيا دولة محايدة وغير مهددة لروسيا، أمر الرئيس الروسي فلادمير بوتين يوم 24 فبراير عام 2022م بشن عملية عسكرية في أوكرانيا سميت (بالعملية العسكرية الخاصة) تهدف هذه العملية الى نزع سلاح أوكرانيا وتطهيرها من ما يسمى العناصر القومية المتطرفة المضادة لروسيا، ومنذ هذا التاريخ بدأ فصل جديد من الصراع الثنائي القديم والمتجدد بين القوى البرية والقوى البحرية هذه المرة داخل أوكرانيا التي تعد واحدة من أهم مناطق التماس بين القوتين، وقد أعلنت القوى الغربية وعلى راسها أمريكا وبريطانيا أنها لن تقف مكتوفة الايدي إزاء الغزو الروسي لأوكرانيا وأنها ستقف الى جانب أوكرانيا وستمدها بالأسلحة والمعدات العسكرية الضرورية لمنع سقوطها في يد روسيا.[26]

يمكن القول باختصار إن العامل الجغرافي المتمثل في اتساع مساحة روسيا وضخامة حجمها السكاني وقارية موقعها (تجمد غالبية بحارها وبعدها عن البحار الدافئة) وبحثها الدائم عن المنافذ البحرية المفتوحة، وحاجتها الجغرافية والاقتصادية والعسكرية لربط شبه جزيرة القرم بالأراضي الروسية بريا، والحاق الإثنيات الروسية بموطنها الأم روسيا، إلى جانب تجاور روسيا الجغرافي مع الدول الأوروبية بشكل عام ومع أوكرانيا بشكل خاص من جهة، وصغر مساحة

الدول الأوروبية وخوفها الدائم من تمدد روسيا واجتياحها لهم من جهة أخرى، بالإضافة إلى أهمية أوكرانيا الجيوسياسية والاقتصادية والتاريخية لكل القوى والأطراف الكبرى كروسيا ولأوروبا وللولايات المتحدة الامريكية، أدى إلى توجيه وتحريك سياسات واستراتيجيات كل من روسيا وأوروبا والولايات المتحدة بما تمليه مصالح هذه الدول العليا في حالة يغلب عليها بصفة عامة التنافس السياسي والصراع العسكري واستغلال الفرص التاريخية لكل طرف على حساب الطرف الآخر، وذلك من أجل ضم الأراضي والمناطق الحيوية، أو لتقوية النفوذ السياسي والدبلوماسي والعسكري لكل من هذه الأطراف.

ثالثا: أهمية أوكرانيا الجيوستراتيجية

هذا المبحث يختص بالإجابة على تساؤل مشكلة الدراسة الرئيس والذي يتمحور حول استراتيجيات البعد الجيوبولتيكي ودوره في الحرب الروسية الأوكرانية وكيف اسهم هذا العامل في دفع روسيا لغزو أوكرانيا مع ما ترتب على ذلك من حشد القوى الغربية لكل قواها لمنع وإيقاف ذلك الغزو ومجابهته، وللإجابة على هذا السؤال يستوجب أولاً معرفة أهمية أوكرانيا الجيوبولتيكية الخاصة بالنسبة للقوى العظمى روسيا وأوروبا والولايات المتحدة الامريكية، ثم تطبيق بعض النظريات الجيوبولتيكية الرئيسة المعززة لقيمة اوكرانيا الجيوبولتيكية وأهميتها الحيوية للسيطرة العالمية، مع ما يترتب على ذلك من سياسات واستراتيجيات تتخذها القوى الكبرى روسيا أو والولايات المتحدة الامريكية وحلفاءها تجاه هذه الدولة وذلك على النحو الآتي:

1- أهمية أوكرانيا الجيوبولتيكية الخاصة بالنسبة للقوى الدولية العظمى

تقع أوكرانيا في شرق أوروبا ويحدها من الشمال والشرق بلاروسيا وروسيا ومن الغرب بولندا وسلوفاكيا والمجر ومن الجنوب البحر الأسود ورومانيا وملدوفا وتصل مساحتها إلى نحو 600 ألف كم2 ويبلغ عدد سكانها نحو 43 مليون نسمة (إحصاء عام 2017م) تمثل أوكرانيا

أهمية استراتيجية كبرى بالنسبة لروسيا وأوروبا والولايات المتحدة الامريكية بالنسبة لروسيا هناك قواسم مشتركة عديدة بين البلدين ناتجة من وحدة الجوار الجغرافي والتذاوب العرقي والامتزاج الثقافي، وتعد عاصمة اوكرانيا كييف البؤرة الأولى التي شهدت ميلاد وتوسع الدولة الروسية، وغالبية سكان روسيا واوكرانيا ينتميان الى أصل عرقي واحد هي الأصل العرقي السلافي، ويوجد تقارب وتشابه كبير في لغتي البلدين الروسية والاوكرانية، وهناك نحو 8 ملايين نسمة في أوكرانيا ينتمون للأصل الروسي حيث يقطنون في شرق وجنوب أوكرانيا ويتحدثون اللغة الروسية[27] وقد كانت اوكرانيا منذ عام 1922م تشكل جزءا مهما من الاتحاد السوفياتي السابق وهي ثاني أكبر الدول السوفيتية الخمس عشرة بعد روسيا من حيث عدد السكان، وتعد موطنا لكثير من المنتجات الزراعية والصناعات الدفاعية والعسكرية والنووية، وأوكرانيا هي مجال الاتحاد السوفيتي السابق الحيوي ومحركه الاقتصادي فهذه الدولة انتجت قبل تفكك الاتحاد السوفيتي السابق نحو 56% من محصول الذرة السوفييتي و54% من محصوله للسكر ونحو 25% من محصوله للقمح و21% من اللحوم والحليب، و47% من الحديد و23% من الفحم، و30% من المواد الكيميائية،[28] أما بالنسبة لقارة أوروبا الفقيرة في مواردها الطبيعية والهرمة سكانيا فإن أوكرانيا تعد منطقة حيوية واعدة ومنقذة لأوروبا اقتصاديا وديموغرافيا، فهذه الدولة الكبيرة المساحة والغزيرة الموارد وذات الثقل السكاني الكبير يمكن أن تكون مركز ثقل مهم لاقتصاد القارة العجوز، واذا انضمت أوكرانيا للاتحاد الأوروبي فستحتل على الفور المرتبة الخامسة من ناحية اسهامها في الناتج المحلى الإجمالي الأوروبي، حيث تأتي في الترتيب بعد كل من المانيا وفرنسا وبريطانيا وايطاليا [29]وفي المستقبل يمكن أن تصبح اوكرانيا رئة الاتحاد الأوروبي وشريانه الحيوي ومحرك اقتصاده المستقبلي، وذلك بحكم تنوع مواردها وبحكم طاقاتها السكانية الشابة المدربة وذات المستوى التقني العالي، فيما يخص الولايات المتحدة الامريكية فهي على عكس روسيا وقارة اوروبا لا تربطها أي قواسم مشتركة مع أوكرانيا لبعدها الجغرافي عنها، ولكن للأسباب سالفة

الذكر والمتعلقة بالأهمية الجيوبولتيكية لأوكرانيا فإن الولايات المتحدة الامريكية كونها زعيمة القوة البحرية العالمية ليس من مصلحتها إقامة تعاون أو تحالف روسي اوكراني وليس من مصلحتها كذلك انضمام أوكرانيا لروسيا عن طريق السلم أو الحرب، كما أن انضمام أوكرانيا للاتحاد الأوروبي يشكل خطرا على الولايات المتحدة الامريكية على المدى البعيد؛ لأنه يزيد من ثقل ونفوذ التكتل الأوروبي عالميا لا سيما من الناحتين السياسية والاقتصادية، ونظرا لانشغال روسيا منذ عام 1991م بمشكلاتها الداخلية الكبيرة والتي نتجت عن انهيار الاتحاد السوفيتي، فقد استغلت واشنطن هذا الانشغال وعملت جاهدة على جذب أوكرانيا إلى المعسكر الغربي ولحلف الناتو من اجل ابعادها عن موسكو واغرائها بمزايا تحررها من التبعية الروسية والحاقها بالحلف الغربي البحري، لذلك سعت أمريكا لزيادة شقة الخلافات والتباعد بين الجارتين روسيا وأوكرانيا وذلك من خلال انشاء وتشجيع الأحزاب القومية اليمنية الأوكرانية المتطرفة الموالية للغرب وضخ الأموال لها وترهيب وتخويف الاوكرانيين من جارتهم الكبيرة روسيا.[30]

2. موقع أوكرانيا من النظريات الجيوبولتيكية والجيوستراتيجية الكبرى

لتحليل القيمة والمكانة الجيوستراتيجية التي تتمتع بها دولة أوكرانيا، والتي رتبت وحددت سياسات القوى الكبرى واستراتيجيتها تجاهها في أوقات السلم والحرب، سيتم اللجوء لتطبيق بعض النظريات الجيوبولتيكية الخاصة بتحديد القيمة الجيوبولتيكية للمناطق الجيوستراتيجية الدولية لمعرفة موقع دولة أوكرانيا منها مثل نظرية القوة البحرية ونظرية القوة البرية

(الهارتلاند) ونظرية الإطار (الرملاند) ونظرية رقعة الشطرنج خريطة رقم (2) وذلك على النحو الآتي:

خريطة رقم (2) موقع أوكرانيا من النظريات الجيوستراتيجية

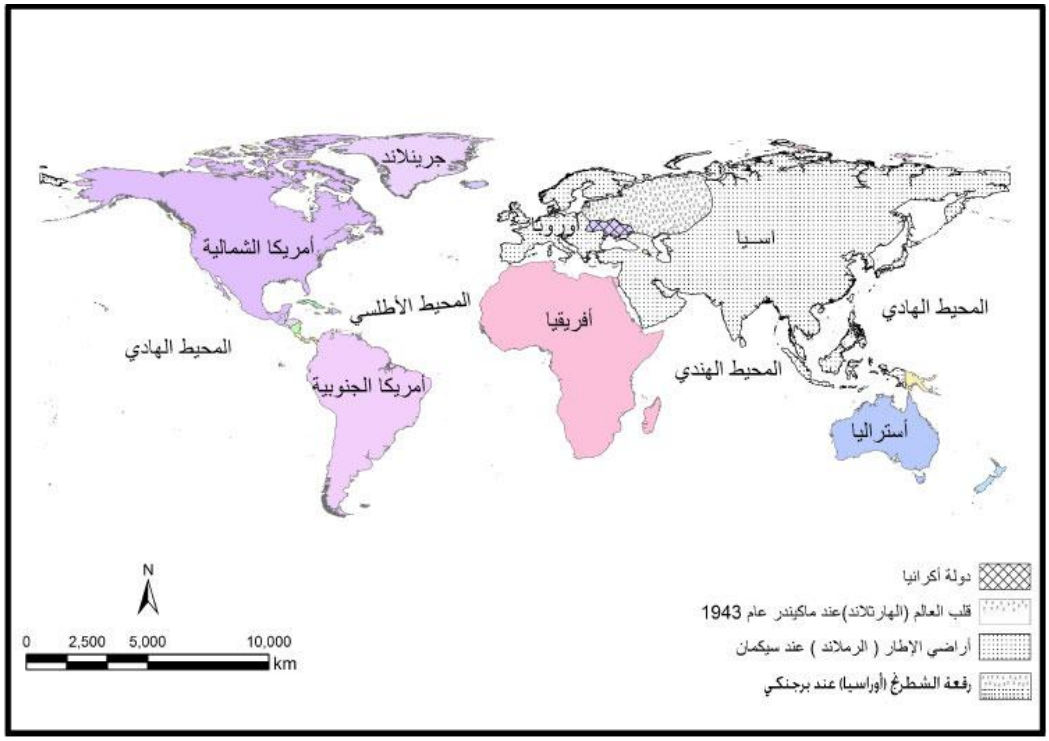

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على:

1- مازن مغايري، موسوعة أطلس العالم، دار الرضوان للنشر، حلب، بدون تاريخ، ص30-31

2- إبراهيم احمد سعيد، ما بين الجغرافيا السياسية ومخاطر الجيوبولتيك والعولمة، منشورات الأوائل، ط1، دمشق، 2006، ص100

أ- نظرية الفرد ماهان (القوة البحرية)

تقع أوكرانيا على ساحل البحر الأسود والذي يعد من أهم البحار الدافئة في جنوب أوروبا حيث تمتلك أوكرانيا العديد من الموانئ التجارية والصناعية والعسكرية الكبيرة التي تتميز بعمقها الكبير والذي يسهل لها التعامل مع كل أنواع السفن وبمختلف أحجامها وهذه الموانئ تتصف بكونها مفتوحة للملاحة طوال أشهر السنة، ومن أهم هذه الموانئ ماريبول وسفاستيبول وخيرسون واوديسا، بالنسبة لروسيا القوة البرية فإن حلمها القديم الجديد هو تعزيز تمركزها في البحار الدافئة

والوصول إلى المياه المفتوحة والتحرر من الموقع البري المقيد وساحل المحيط المتجمد الشمالي الذي يخنق تحركاتها كقوة عظمى، لذلك فهي تعد سواحل أوكرانيا امتدادا جغرافيا طبيعيا ومتنفسا تجاريا وعسكريا للأراضي الروسية، أما الولايات المتحدة الامريكية القوة البحرية العظمى وحلفائها من دول الناتو بمساندتهم لأوكرانيا ووقوفهم ضد الغزو الروسي فإنهم يحاولون استمرار خنق وتطويق روسيا ومنعها من الوصول إلى مميزات القوى البحرية.

ب-نظرية ماكندر(الهارتلاند)

تعد أوكرانيا جزءاً رئيساً ومهما من قلب العالم الهارتلاند وذلك حسب أخر تعديل لنظرية قلب العالم (الهارتلاند) لماكندر عام 1943م كما تعد اوكرانيا في نفس الوقت بوابة هذا القلب باعتبارها تقع جغرافيا في شرق أوروبا، لذلك تحاول القوة البرية روسيا بكل الطرق مد نفوذها إلى هذه الدولة لإحكام السيطرة على شرق أوروبا واستكمال السيطرة على الهارتلاند، أما الولايات المتحدة الامريكية وحلف الناتو ومن خلال ادراكهم لقيمة الهارتلاند وبوابته شرق اوروبا فإنهم يعملون للحيلولة دون تمدد روسيا إلى هذه المنطقة الحيوية لمنع تحولها مرة أخرى لإمبراطورية أو قوة عظمى على غرار الاتحاد السوفييتي.

ج-نظرية نيقولاس سبيكمان (أراضي الإطار)

تقع أوكرانيا ضمن مناطق الإطار الاوروبية **(الرملاند)** كما حددها سبيكمان، وهي في غالبيتها مناطق استراتيجية حيوية مهمة غنية بمواردها الاقتصادية والبشرية والتقنية الضخمة، وهذه المناطق الجيوبولتيكية تجمع بين مزايا القوة البرية و القوة البحرية، فأوكرانيا نتيجة لذلك هي منطقة التحام وتصادم بين روسيا القوة البرية والولايات المتحدة الامريكية القوة البحرية في زمن الحرب، وهي منطقة عازلة بين القوتين في زمن السلم، لذلك تحاول الولايات المتحدة وحلف الناتو بكل الوسائل منع روسيا من السيطرة عليها، أما روسيا فتسعى دائما إلى السيطرة عليها أو ضمان حيادها ومنعها بالتأكيد من انضمامها للقوى الغربية البحرية ولحلف الناتو، وعندما عجزت

موسكو في مفاوضتها مع واشنطن عن ضمان حياد هذه الدولة لم يكن أمام روسيا من خيار إلا غزو هذه الدولة واحتلالها.

د- نظرية برجينسكي (رقعة الشطرنج الكبرى)

اعطى برجينسكي في نظريته أهمية كبيرة لقارة اوراسيا (أوروبا وأفريقيا) فيما يتعلق بالصراع والهيمنة الدولية، ولقد قسم برجينسكي الدول الاوراسية المهمة جيوبولتيكيا إلى مجموعتين هما **اللاعبون الجيوستراتيجيون والمحاور الجيوسياسية** اللاعبون الجيوستراتيجيون هي دول تملك القدرة لممارسة القوة والنفوذ وتسعى لتغيير الوضع القائم لصالحها مثل روسيا والصين والهند وألمانيا وفرنسا، أما المحاور الجيوسياسية فهي دول لا تستمد أهميتها من قوتها الذاتية وإنما من خصائصها الجغرافية الحاكمة كخصوصية موقعها الجغرافي ومواردها الغزيرة وطبيعة تموضعها بين اللاعبين الجيوستراتيجيين وهذه الدول تمتلك احتياطيات جيوستراتيجية مهمة يمكن استخدامها لتغيير موازين القوة لصالح لاعب جيوستراتيجي على حساب لاعب أخر، وينطبق تعريف المحاور الجيوستراتيجية على أوكرانيا تمام الانطباق، لذلك تعد أوكرانيا حسب هذه النظرية محوراً جيوسياسيا مهماً وحاكماً، وهذا يعني أن سيطرة أو مد نفوذ أحدى القوتين روسيا أو الولايات المتحدة على دولة أوكرانيا سيغير موازين القوة لصالح احد الأطراف على حساب الطرف الاخر.

يمكن القول باختصار ان أوكرانيا تحتل مكانة جيوبولتيكية هامة بين النظريات الجيوستراتيجية الرئيسة وهي تعد محورا جيوسياسيا حاكما باعتبارها بوابة شرق أوروبا، وهي في نفس الوقت تمثل معبرا وجسرا مهما لقلب العالم الهارتلاند، ولهذا كانت أراضي هذه الدولة ومواردها ولاتزال مطمعا للقوى الكبرى المتنافسة والساعية للسيطرة وبسط النفوذ الإقليمي والعالمي.

رابعاً : التداعيات السياسية والاقتصادية والأمنية العالمية للحرب الروسية الأوكرانية

جاءت الحرب الروسية الأوكرانية في توقيت بالغ الصعوبة للعالم اجمع ففي الوقت الذي تنفس فيه سكان العالم الصعداء نتيجة بداية زوال واختفاء جائحة كورونا[31] والتي حصدت ملايين الضحايا والحقت خسائر اقتصادية فادحة للاقتصاد العالمي جراء الاقفال التام للأنشطة الصناعية والتجارية والخدمية، حيث ظهرت هذه الجائحة عام 2020م واستمرت حتى عام 2022م ، وفي ظل التفاؤل بالتعافي التام من هذا الوباء ، تفاجأ العالم يوم 24 فبراير عام 2022م بحدث جيوبولتيكي خطير تمثل في غزو روسيا لأوكرانيا حيث ظهرت العديد من التداعيات والآثار السياسية والاقتصادية والأمنية العالمية والتي يمكن ايجازها على النحو الآتي :

1- التداعيات والآثار السياسية للحرب الروسية الأوكرانية:

من أهم الآثار السياسية للحرب الروسية الأوكرانية تصاعد حدة الاختلافات والتناقضات السياسية وزيادة حدة التوترات الجيوسياسية الدولية، لاسيما بين القوى العالمية الكبرى وبالأخص بين روسيا وحلفائها من جهة، والولايات المتحدة الامريكية وحلفائها الغربيين من جهة أخرى، ولقد بدأت الارهاصات الأولى لتشكل معسكرين أو حلفين مختلفين، حلف شرقي روسي ينتمى للقوى البرية مدعوم من الصين وإيران ويضم غالبية الدول التي كانت تشكل الاتحاد السوفيتي السابق إضافة الى بعض الدول الأخرى، وهذه الدول بشكل عام ترفض الهيمنة الامريكية الغربية وتنادي بعالم متعدد الأقطاب، وحلف غربي ينتمي للقوى البحرية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ومدعوم من الدول الغربية بالإضافة إلى استراليا واليابان، فالمعسكر الأول وان كان يدعو علنيا لوقف الحرب والعودة لطاولة المفاوضات إلا أنه يتحالف مع روسيا ويدعمها ضمنيا، أما المعسكر الثاني فهو يرفض الغزو الروسي ويدعم بصورة علنية اوكرانيا عسكريا واقتصاديا، ويمكن القول أن حالة الاصطفاف الدولي التي انجرت لها دول العالم بفعل الحرب الروسية الاوكرانية يمكن تشبيها بما حدث في فترة الحرب الباردة، ونظرا لخطورة قيام حرب كبرى بين الولايات المتحدة الامريكية وروسيا، لذا لجأت واشنطن إلى استنزاف روسيا وذلك بفرض العقوبات الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية عليها وبشكل غير مسبوق، حيث فرضت أمريكا وحلفائها عقوبات شديدة وقاسية على روسيا، شملت العديد من المجالات السياسية والاقتصادية

والدبلوماسية والعسكرية، وشملت أيضا المجالات الثقافية وحتى الرياضية، وتم قطع التبادل التجاري والثقافي واغلاق المجال الجوي امام الطيران الروسي وحظرت حركة السفن الروسية من دخول العديد من موانئ العالم، ونتيجة لهذه العقوبات ارتفعت حدة التوترات العالمية وازدادت بؤرة الاستقطاب وتم حشد الدول الداعمة لهذا الطرف أو ذاك، ولقد حاول كل طرف تبرير موقفه والقاء اللوم على الطرف الاخر، ومن جانبها لم تقف روسيا مكتوفة الايدي وإنما حاولت تجميع وحشد قواها الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية للحيلولة دون تمرير العقوبات وافشالها، ولقد عملت الدبلوماسية الروسية على توضيح موقفها للدول المختلفة وللراي العام الدولي، يمكن القول وباختصار أنه ونتيجة للحرب الروسية الأوكرانية انزلقت القوى الكبرى وحلفائها إلى ما يشبه الصدام غير المباشر وتصفية الحسابات في الأراضي الأوكرانية.[32]

2- التداعيات الاقتصادية للحرب الروسية الأوكرانية

يمكن القول أن روسيا وأوكرانيا يشكلان سلة غذاء العالم، ومنجما ضخما للموارد الخام التي تحرك عجلة الاقتصاد العالمي، لذلك فإن وقوع الحرب بين هاتين الدولتين مع ما ترتب عليها من فرض العقوبات الشديدة على روسيا أدى إلى نتائج اقتصادية خطيرة على الاقتصاد العالمي، كما أن استمرار الحرب على أوكرانيا وفرض العقوبات على روسيا تعني تعطل وقطع جزء كبير من سلاسل امدادات الغذاء والطاقة والمواد الخام عن دول العالم، وقد يؤدي ذلك إلى تعرض اقتصاد العالم للخطر والتدهور والانكماش، وتعد روسيا من اكبر مصدري القمح في العالم وتوفر كل من روسيا وأوكرانيا معا أكثر من ثلث صادرات الحبوب العالمية، ونحو 60% من صادرات زيوت عباد الشمس العالمية، وفي ظل تطورات الحرب الروسية الأوكرانية ارتفعت أسعار المواد الأساسية بما في ذلك السلع الزراعية كالقمح والذرة بنسبة تفاوتت بين 40 إلى 60% حيث وصل سعر القمح إلى 400 دولار للطن الواحد[33] وتشير التوقعات الى ان الامدادات العالمية من المنتجات الزراعية كالقمح والشعير والذرة وزيت عباد الشمس ستنخفض بنسبة تتراوح بين 40 إلى 50 %،[34] ولقد سببت الحرب الروسية الأوكرانية خسائر اقتصادية يصعب حصرها فبالإضافة الى تدمير البنية التحتية الداعمة للإنتاج الزراعي والصناعي في أوكرانيا بفعل الاعمال العسكرية والقصف المتبادل، فقد تسبب اغلاق الموانئ الأوكرانية المطلة

على البحر الأسود اثناء الحرب الروسية الأوكرانية في عرقلة حركة النقل البحري، وانقطاع سلاسل امداد العالم بالحبوب كالقمح والشعير والذرة ما أدى إلى ارتفاع أسعار هذه السلع عالميا ارتفاعا كبيرا وتضرر الأمن الغذائي للعديد من دول العالم وخصوصا الدول الفقيرة والدول المعتمدة على استيرادها غذائها من الخارج كالدول العربية على سبيل المثال، ولقد تأزم الوضع بصورة أكثر بعد قيام أوكرانيا بحظر تصدير العديد من السلع الزراعية ما أدى إلى زيادة ارتفاع أسعار هذه السلع عالميا، وبفعل الحرب والعقوبات الاقتصادية المفروضة على روسيا والتي تعد من أكبر الدول المنتجة للنفط والغاز ارتفعت أسعار النفط والغاز في الأسواق العالمية ارتفاعا كبيرا حيث وصل سعر برميل النفط إلى أكثر من 100 دولار للبرميل، وسجلت أسعار الغاز الطبيعي وخصوصا في القارة الاوروبية ارتفاعا كبيرا وذلك بفعل زيادة الطلب ونقص المعروض نتيجة انخفاض الإنتاج الروسي من النفط والغاز بفعل العقوبات الاقتصادية المفروضة من القوى الغربية والتي أدت الى نقص قطع الغيار الازمة لإنتاج النفط والغاز ولتشغيل خطوط انابيب النفط والغاز، ولقد تعثر اصلاح التوربينات المسؤولة عن ضخ الغاز وايصاله الى اوروبا التي تستورد قرابة 40% من حاجاتها من الغاز من روسيا،[35] وهذا أدى ارتفاع إلى أسعار الطاقة في أوروبا وتعطل انتاج الكهرباء وتوقف الأنشطة الصناعية المعتمدة على النفط والغاز، وهكذا فإن الحرب الروسية الأوكرانية سببت في خسائر اقتصادية انعكست على كل دول العالم خصوصا تلك الدول التي تعتمد على استيراد غذائها وموادها الخام من الخارج، والمتضرر الأكبر هي الدول الفقيرة التي تضاعفت خسائرها بشدة نتيجة الارتفاع الكبير في فاتورة استيرادها الخارجي والتزايد الحاد في مديونيتها.

3- التداعيات الأمنية العالمية للحرب الروسية الأوكرانية

تدور رحى هذه الحرب في قارة أوروبا ولا ننسى أن قارة أوروبا هي الفتيل الذي أشعل الحربين العالميتين الأولى والثانية، ولقد اطلقت روسيا على حربها في أوكرانيا تسمية (العملية العسكرية الخاصة) ما يعني أن هذه العملية محددة من ناحية الوقت والأهداف العسكرية والسياسية، ونظرا لأن القوى الغربية بقيادة الولايات المتحدة قدمت دعما كبيرا وسخيا لأوكرانيا حيث أمدتها بأحدث أنواع الأسلحة والمعدات العسكرية، فقد طالت فترة الحرب ولم يتم انجاز

كافة الأهداف العسكرية الروسية المخطط لها (مرت نحو عشرة أشهر منذ اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية)، وحتى لا تطول فترة الحرب وتغرق روسيا في مستنقعات أوكرانيا فقد تقدم روسيا على استخدام الأسلحة غير التقليدية كالأسلحة الكيمائية والنووية، ولقد هددت موسكو مررا باستخدام هذا النوع من الأسلحة الفتاكة والتي يمكن أن تصل تأثيراتها الخطيرة إلى كل الدول المجاورة، ولا يقتصر الأمر على ذلك فقد هددت روسيا أيضا باستخدام الصواريخ الفضائية الاستراتيجية لتدمير الأقمار الصناعية الغربية التي تقدم الدعم العسكري للقوات الأوكرانية، وهذا يعني دخول العالم في حرب فضائية، وقد يؤدي ذلك إلى انهيار عالمي كبير في بنية الاتصالات وتبادل المعلومات الدولية، ويرى بعض المحللين أنه في حال توسع هذه الحرب وتصاعد القتال لفترة زمنية طويلة فإن ذلك سيقود إلى ارتفاع جنوني بالأسعار وخصوصا أسعار الحبوب كالقمح والشعير وأسعار الطاقة كالنفط والغاز ما يؤدي إلى تدهور الاقتصاد العالمي وانتشار الجوع نتيجة انقطاع سلاسل الامداد من الغذاء والطاقة، وهذا سيؤدي إلى زيادة القلاقل السياسية وتدهور الأوضاع الاجتماعية وتدفق المزيد من المهاجرين سواء من أوكرانيا أو من دول العالم الأخرى كالدول الافريقية ودول أمريكا اللاتينية واسيا الوسطى إلى بقية دول العالم، حيث يؤدي تزايد اعدادهم إلى ضغوط سياسية واقتصادية واجتماعية وأمنية على الدول التي تستضيفهم، وستضطر هذه الدول إلى بناء مخيمات خاصة لاستقبالهم وايوائهم مع ما يترتب على ذلك من مشكلات أمنية واقتصادية واجتماعية لا حصر لها، وهكذا فإن التداعيات الأمنية العسكرية للحرب الروسية الأوكرانية يمكن أن تطال كل دول العالم ويمكن أن تكون هذه الحرب وميضا يشعل حربا عالمية ثالثة قد تستخدم فيها أسلحة غير تقليدية وخصوصا مع تلويح بعض أطراف الحرب باستخدام الأسلحة الكيميائية والنووية.[36]

الخاتمة

سلطت هذه الدراسة الضوء على الدوافع الجيوستراتيجية والأبعاد الجيوبولتيكية للحرب الروسية الأوكرانية وتأثيراتها ومخاطرها السياسية والاقتصادية والأمنية المختلفة، ومن خلال الحقائق الجيوستراتيجية والجيوبولتيكية والتاريخية التي وردت في مباحث الدراسة تم إثبات صحة

فرضية الدراسة التي تقول أن العامل الجيوبولتيكي بكل مشتملاته له دور كبير في نشوب الحرب الروسية الأوكرانية وغزو روسيا لأوكرانيا، وكان لأهمية أوكرانيا ووزنها الجيوبولتيكي وأهميتها لروسيا وللقوى الغربية تأثير كبير على شن العملية العسكرية الروسية حيث قابلتها ردود الأفعال الغربية المنددة والرافضة لهذا الغزو والمصطفة ضده، ولقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1- لعبت الدوافع الجيوستراتيجية والأبعاد الجيوبولتيكية دورا رئيسيا مهما في الحرب الروسية الاوكرانية التي تحولت تدريجيا من حرب بين دولتين إلى صراع غير مباشر بين روسيا القوة البرية الساعية إلى التوسع والوصول إلى المنافذ المائية الدافئة حتى ولو اضطرها ذلك إلى غزو جارتها أوكرانيا، وبين الولايات المتحدة القوة البحرية وحلفائها الغربيين الساعين لمنع روسيا من تحقيق ذلك الهدف، ولاتزال هذه الحرب مشتعلة وتلقي بضلالها الخطيرة على العالم بأسره حتى كتابة هذه السطور.

2- اثبتت الأحداث التاريخية صحة معظم النظريات الجيوبولتيكية فيما يتعلق بصراع وتنافس القوى البرية مع القوى البحرية فعلى سبيل المثال بين فترة حكم القياصرة لروسيا و فترة حكم الرئيس الحالي "فلادمير بوتين" مئات السنين وعشرات الحكام الروس الذين حكموا روسيا، حيث شهدت البلاد تغيرات اجتماعية واقتصادية هائلة طيلة هذه الفترة، غير أن سياسة روسيا الهادفة للهروب من الموقع شبه الحبيس والاندفاع نحو البحار المفتوحة والوصول بالدولة إلى البحار الدافئة بقت هدفا استراتيجيا ثابتا لا يتغير بالنسبة للسياسة الروسية العليا، وهذا ينطبق كذلك على السياسة الاستراتيجية العليا شبه الثابتة للقوى البحرية الغربية الكبرى والتي سعت طيلة عشرات السنين الماضية بكل الطرق لخنق روسيا ومنعها من التمدد خارج نطاقها البري .

3- تعد أوكرانيا أهم دول أوروبا من الناحيتين الجيوستراتيجية والجيوبولتيكية وذلك بفعل موقعها الجغرافي الحساس ومواردها الضخمة وطبيعة تموضعها بين اللاعبين الجيوستراتيجين.

4- يمكن القول ان أوكرانيا وقعت ضحية لموقعها الجغرافي الحساس فهي بين فكي رحى روسيا القوة البرية التي تسعى للوصول للبحار الدافئة والولايات المتحدة القوة البحرية التي تحاول منع تحقيق ذلك، وربما لن تتمكن اوكرانيا من أن تكون دولة مستقرة ومزدهرة وبعيدة عن

الصراع إلا إذا اتفقت القوى العظمى الكبرى البحرية والبرية على تقاسم السيطرة عليها أو حيادها.

5- بغض النظر عن توقيت انتهاء الحرب الروسية الأوكرانية ونتائجها المختلفة فإن الصراع الروسي الغربي على الأراضي الاوكرانية وتداعياته المختلفة يدل دلالة قاطعة على حالة الاستقطاب الدولي وأن العالم مقبل على تشكل وقيام نظام دولي تزول معه القطبية الأحادية ويظهر فيه نظام دولي متعدد الأقطاب.

هوامش البحث ومصادره

1- www.political-encyclopedia.org

2- زيغو برجينسكي، رقعة الشطرنج الكبرى التفوق الأمريكي وضروریاته الجيوستراتيجية الملحة، ترجمة سليم ابراهام، منشورات دار علاء الدين،ط4،دمشق،2008،ص40

3- مصطفى عبدالله خشيم، موسوعة علم العلاقات الدولية، الدار الجماهيرية للنشر، سرت، ص85

4- www.ar.wikipedia.org/wiki

5- بول كنيدي، القوى العظمى التغيرات الاقتصادية والصراع العسكري من عام 1500 إلى 2000 ترجمة عبدالوهاب علوب، دار سعد الصباح للنشر، ط1، 1993م،ص147-149

6- المصدر نفسه، ص147-149

7- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، الجزء السادس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1990،ص357

8- www.marefa.org

9- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة الدبلوماسية، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للنشر والدراسات،بيروت،1990،ص658

10- علي محمد شمبش، العلوم السياسية، المنشاة العامة للنشر والتوزيع، ط2 طرابلس، 1982، ص344

11- مصطفى عبدالله خشيم، مصدر سابق، ص235

12- عبد القادر محمد فهمي، المدخل إلى دراسة الاستراتيجية، دار مجدلاوي للنشر،ط1، عمان، 2006،ص51
13- المصدر نفسه،ص58
14- الكسندر دوغين، أسس الجيوبولتيكا مستقبل روسيا الجيوبولتيكي، ترجمة عماد حاتم، دار الكتاب الجديد، بيروت،2004م، ص138-140
15- المصدر نفسه، ص94-95
16- أدوارد ميد ايرل وآخرون، رواد الاستراتيجية الحديثة، ترجمة محمد عبدالفتاح إبراهيم، منشورات المكتبة العالمية، ط2، بغداد 1985، ص214
17- بيير رينوفان، جان باتتيست دوروزيل، مدخل إلى تاريخ العلاقات الدولية، ترجمة فايز كم نقش، منشورات البحر المتوسط، دار عويدات، ط3، 1989، ص13
18- إبراهيم احمد سعيد، ما بين الجغرافيا السياسية ومخاطر الجيوبولتيك والعولمة، الأوائل للنشر، ط1، دمشق، 2006، ص85
19- المصدر نفسه، ص93
20- السيد أمين شلبي، التسعينيات أسئلة ما بعد الحرب الباردة، منشورات عالم الكتب، ط1، 2001، ص59
21- صلاح الدين الشامي، دراسات في الجغرافيا السياسية، منشاة المعارف، ط2، الإسكندرية، 1999، ص174-187
22- المصد نفسه، ص182
23- بول كنيدي، مصدر سبق ذكره، ص145
24- www.wikipedia.org/wiki
25- هوبير فيدرين، باسكال بونيفاس، أطلس الأزمات والنزاعات، ترجمة أنطوان الهاشم، عويدات للنشر، ط1، بيروت 2011، ص34
26- www.wikipedia.org/wiki
27- www.trendsresearch.org/ar/insight/04-05-2022/

28- وليد نويهي، عصر الغلبة اكتشاف امريكا والمركزية الاوروبية، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1، بيروت،1992، ص161

29- المصدر نفسه، ص161

30- الكسندر دوغين، مصدر سبق ذكره، ص432

31- جائحة فيروس كورونا أو كوفيد19هي جائحة عالمية مستمرة حاليا سببها فيروس كورونا المرتبط بالمتلازمة التنفسية الحادة الشديدة (سارس كوف2) تفشى المرض للمرة الأولى في مدينة ووهان الصينية في ديسمبر 2019م ومنذ ذلك الوقت اعلن عن اصابة أكثر من 629 مليون شخص في أكثر من 188 دولة. وللمزيد ينظر www.ar.wikipedia.org

32- www.studies.aljazeera.net/article/5361

33- www.uabonline.org

34- www.studies.aljazeera.net/article/5361

35- www.bbcarabic.com

36- www.uabonline.org